مَهيب عتيق أسود كان عبداً فأُعتق ، وكان اسمه اسكندر ، وكان يجلس حيثما جلس وزينا وقورا ساكنا حتى يُحرِّك ، فيقوم الى القِنّيات القذرة فيغسلها ، أو الى الخنازير الغينية فيُعنى بها

وبدأ إسميث فى صيادة المكروب فى حجرة فى ذروة بيت حكوىّ أضاءها شباك واحد مفتوح فى سقف البيت . بدأ فى صيادة المكروب ، فبدأ عمله الأوفق الذى هيأته الطبيعة له . وجاءته هذه الصيادة سلسة منقادة فكأنما ولدته أمه ويمينه يحكّ وبفمه عود من البلاتين . وعلى الرغم من أنه خريج جامعة فقد كان يقرأ اللغة الألمانية قراءة جيدة ، فكان فى الليل يعتكف الى دراسة ما صنع كوخ من المكروبات وصار يعبّ من مآثره العلمية المجيدة عباً . وكان كالبُطَيطة نزلت فى الماء لأول مرة . فأخذ يفعل بالتفصيل كل مافعله كوخ من قبله ويقلده تقليداً ويتبع طرائقه اللبقة فى تربية الجرثوم واقتناص البشلات وتلك الخلائق العجيبة الأخرى التى تسبح فى الماء انفتالا كأنما هى يَرَعة الفلين جرت فيها الحياة . قال : « إن كل ما صنعت مرجعه إلى كوخ » ، وتصور كوخ فى بعده وعبقريته شيئاً سماويا قدسيا

وعَمِل فى حجرته السقفيّة بلا هوادة ولا حسبان لضعف جسمه ، وقام على صيادة المكروب كل يومه وطرفا من ليله . وكانت له أنامل دقيقة رقيقة متّزنة كأنامل الموسيقى فساعدته على غَلْى الأحسية فندر انكبابها فى يديه . وكانت الى جانب حجرته حجرة أخرى يُختزن فيها المتاع الخسيس ، وكان يخرج منها اليه قُطُر من الصراصير لا تنقطع فيتاهى فى أوقات فراغه بدقّها . وفى وقت قصير بالغ القصر علّم نفسه كل ما يتطلبه البحث ، ثم بدأ يكتشف الكشوفات على حذر ، فاكتشف لقاحا غريبا مأموناً ، لا يحتوى على البشلات نفسها ، ولكن على عصاراتها الزلالية التى تُبتزّ منها اعتصارا وترشيحا . واشتد الحر فى غرفته فزاد على حر المدينة وهى جهنم الحمراء ، ولكنه احتمل هذا ومسح العرق المتقطّر من أنفه ، وظل يعمل على أسلوب كوخ الأدقّ الأحذر ، ونبا به طبعه عن أسلوب بستور الأخشن وطرائقه الفضفاضة

(يتبع)

أحمد زكى

شخصية ناقدة يجهلها النقد العربى

نقد ابن أبى عتيق

[تتمة ما نشر فى العدد الماضى]

للأستاذ خليل هنداوى

ذكر شعر الحارث بن خالد وشعر عمر عند ابن أبى عتيق فى مجلس وجل ففضل الرجل شعر الحارث . فقال ابن أبى عتيق : بعض قولك يا ابن أخى ! لشعر عمر نوطة فى القلب ، وعلوق بالنفس ، ودرك للحاجة ليست لشعر . وما عُنى الله بشعر أكثر مما عُنى بشعر عمر أشعر قريش ، من دق معناه ، ولطف مدخله وسهل مخرجه ، ومتن حشوه ، وتلطفت حواشيه ، وأثارت معانيه ، وأعرب عن حاجته . وذكر الرجل المفضل أبياتا للحارث ينعت بها الطلل :

إنى وما سخروا غداة منى ... عند الجمار يؤودها العقل
لو بدلت أعلى مساكنها ... سفلاً ، وأصبح سفلها يعلو
فيكاد يعرفها الخبير بها ... فيرده الأقواء والمحل
لعرفت منزلها بما احتملت ... منى الضلوع لأهلها قبل

فقال له ابن أبى عتيق : « استره على نفسك واكتم على صاحبك ، ولا تشاهد المحافل بمثل هذا ! أما تطير الحارث عليها حين قلب ربعها لجعل عاليه سافله . ما بقى إلا أن يسأل الله تبارك وتعالى لها حجارة من سجيل » فتأمل ما ألطف هذا المأخذ ، وصاحب هذه الأبيات — فى الحقيقة — قد سار إلى غاية شريفة من معناه . ولكن المبالغة أفسدت عليه غايته ؛ وإن معرفة الدار وإظهار الشوق لأهل الدار لا يحتاجان إلى قلب العالى أسفل والسافل أعلى ؛ وإن فى هذا نذيراً أدنى إلى الشؤم منه إلى إظهار الشوق . ولعن الله شوقا لا يثبت نفسه إلا على الركام والخراب !

ولقد كان يقحم شعر عمر بنقده — على رغم الصداقة — ويضربه فى الصميم . ألم يسمع عمر يقول :

بينما يعتنى أبصرنى ... دون قيد الرمح يعدو بى الأغر

قالت الكبرى أتعرفن الفتى قالت الوسطى : نعم هذا عمر
قالت الصغرى وقد تيمتها : قد عرفناه ! وهل يخفى القمر ؟

وعمر فى هذه الأبيات قد شغل الثلاثة به ودلهن بحبه . فقال له ابن أبى عتيق : أنت لم تتشبب بها ، وإنما تشببت بنفسك ، وإنما كان ينبغى أن تقول : قلت لها فقالت لى فوضعت خدى فوطئت عليه

وأنشد نصيب الأسود قوله :

وكدت ، ولم أخلق من الطير إن بدا
لها بارق نحو الحجاز أطـــير

فسمعه ابن أبى عتيق فقال له : يا ابن أم : قل « غاق » فانك تطير ، وأراد بذلك أنه لا يكون إلا غراباً أسود ، ولا يكون الغراب إلا نذيراً بالويل . وهكذا تنبه الناقد بعقله إلى شىء لم يتنبه إليه الشاعر بفنه

وأنشد ابن جندب قول العرجى لابن أبى عتيق فى جاريته : وماأنس م الاشياء لاأنس قولها : لخادمها، قولى اسألى لى عن الوتر فقالت : يقول الناس فى ست عشرة

فلا تعجلى منـــه فانك فى أجر
فما ليلة عندى وإن قيل جمعة ولا ليلة الأضحى ولا ليلة الفطر
بمعادلة الاثنين عندى ، وبالحرى يكون سواء منهما ليلة القدر

فقال ابن أبى عتيق — وقد راعه هذا التكلف — أشهدكم أنها حرة من مالى إن جاز ذلك أهلها . هذه والله أفقه من ابن شهاب ! وليتنا نعلم شيئاً عن ابن شهاب الذى حشره الناقد حيث لا يحشر !

وقد يتأمل ابن أبى عتيق فى مواقع الألفاظ ويتبين مواضعها ، فيقول مثلاً عند ما يسمع قول قيس بن الحطيم :

بين شكول النساء خلقتها حذواً ، فلا جبلة[1] ولا قضف

لولا أن أبا يزيد قال « حذواً » ما درى الناس كيف يحشون هذا الموضع

ويسمع عتيق ابن قيس يقول : « سواء عليها ليلها ونهارها » فيقول له : كانت هذه يا ابن أم فيما أرى عمياء ، فما يستوى الليل والنهار إلا على عمياء . فقال ابن قيس : إنما سيتُ الشعب .

قال : فبيتك هذا يحتاج إلى ترجمان يترجم عنه ، وما عسى يكون قدر البيت إذا كان لا يُفسر إلا بترجمان !

وأنشد كثير ابن أبى عتيق قوله :

ولست براضٍ من خليل بنائل قليل ولا أرضى له بقليل

فقال ابن أبى عتيق : هذا كلام مكافٍ ليس بعاشق ، القرشيان أقنع وأصدق منك : عمر حيث يقول :

ليت حظى كلحظة العين منها وكثير منها القليـل المهنا

وحيث يقول :

فَعِدِى نائلاً وإن لم تنيلى إنه يقنع المحب الرجاء

وابن قيس الرقيات حيث يقول :

رُقَّ ! بعيشكم لا تهجرينا ومنينا المنـــى ثم امطلينا
عدينا فى غد ماشئت إنا نحب — وإن مطلت الواعدينا
فاما تنجزى عدتى وإما نعيش بما تؤمل عنك حينا

وهكذا أفسد على كثير فكرته بنظرة نفسية عميقة لأن المحب الحقيقى الذى يتلهب ويتقلب على جمر من حبه لا يقول لمحبوبته إذا عرضت له : إليك عنى فانى لا أرضى بالقليل ، وإنما يتمنى قول عمر : « ليت حظى كلحظة العين منها » ويخلق الله بعد هذه اللحظة لحظات

قال كثير لأحدهم — وكان مديوناً — إذهب بنا إلى ابن أبى عتيق نتحدث عنه فذهبت اليـــه معه ، فاستنشده ابن أبى عتيق فأنشده قوله :

أبائنة سعدى ؟ نعم ستبين

حتى بلغ قوله :

وأخلفن ميعادى وخُنّ أمانتى وليس لمن خان الأمانة دين

فقال ابن أبى عتيق : ويلك هذا أملح لهن وأدعى للقلوب إليهن . سيدك ابن قيس الرقيات كان أعلم منك وأوضع للصواب موضعه فيهن . ألم تسمع قوله :

حبذاك الدل والغنج والتى فى عينها دعج
والتى إن حدثت كذبت والتى فى وعدها خلج
وترى فى البيت صورتها مثلما فى البيعة السرج
خبرونى هل على رجل عاشق فى قبلة حرج ؟

(١) الجبلة الغليظة والقضف الدقيقة

وهكذا أدرك ابن أبي عتيق من نفس المرأة ما لم يدركه كثير، وأدرك أن مثل حب كثير المذري لا يستطيع أن يدخل إلى أعماق نفوس النساء لأنه حب مقتول بالاعجاب لا يرى حيث حل إلا نفسه! ومثل عمر وابن قيس وأمثالهما ممن يقعون كل يوم على امرأة يدركون ما يعجب المرأة وما تزدريه، ويفهمون تقلبها وقيمة وعودها، ولكن عتيقاً أهمل هذه اللمحة النظر إلى البيت الأخير في هذه القطعة حيث أخذ الشاعر يستفتي الناس في قبلة، وقد علم أن مثل هذه الفتوى باردة وأبرد منها هذا الاستفتاء الذي هو أدنى إلى الفضيحة والتهتك منه إلى العفة والتستر. وما على صاحبه إلا أن يردده في أحد المساجد ويناقش فيه أصحاب الفتاوى

وأنشد أبو أذينة مرثيته لأخيه بكر:

سرى همي وهم المرء يسري ... وغار النجم إلا قيد شبر
أراقب في المجرة كل نجم ... تعرض في المجرة كيف يجري
بحزن ما أزال له مديما ... كأن القلب أسمر حر جمر
على بكر أخي ولي حميداً ... وأي العيش يحسن بعد بكر

فضحك ابن أبي عتيق وقال: كل العيش يحسن حتى الخبز والزيت. فما لم تهكه أبا أذينة وحلف لا يكلمه أبداً. وهذا هو الموقف الوحيد الذي خرج فيه شاعر متأذيا من ابن أبي عتيق

وهناك مواقف متعددة تبدى لنا عطفه على رجال الفن؛ فلقد كان يمتزج بهم ويحس إحساسهم

سمع عمر يقول:

كان ذا في مسيرنا إذ حججنا ... علم الله فيه ما قد نوينا

فقال له ابن أبي عتيق: إن ظاهر أمرك ليدل على باطنه فأورد التفسير، ولئن مت لأموتن معك. أف للدنيا بعدك يا ابن الخطاب! فقال عمر: بل عليها بعدك العفاء يا أبا محمد!

ولقد كان فيه حدب خاص على المحبين. وإن له مواقف كثيرة كان يقوم فيها بوصل المنقطع من حبال المودة كما فعل مع عمر، وكان رسوله إلى الثريا. وكما فعل مع نصيب، وقد توسط بينه وبين سعدى محبوبته: ولعل هذا الموقف يبدي لك غيرة ابن أبي عتيق على رجال الشعر والغناء والعمل على نصرهم. وهذا الموقف يبديه لنا رجلاً قوياً حاد الطبع قوي الشكيمة مفتول العضل.

رأى ابن أبي عتيق حلق ابن عائشة مخدشاً فقال: من فعل بك هذا؟ قال فلان. فمضى فنزع ثيابه وجلس للرجل على بابه، فلما خرج أخذ بتلبيبه وجعل يضربه ضرباً شديداً والرجل يقول له: مالك تضربني؟ أي شيء صنعت؟ وهو لا يجيبه حتى بلغ منه ثم خلاه وأقبل على من حضر فقال: هذا أراد أن يكسر مزامير داود! شد على ابن عائشة فخنقه وخدش حلقه

والآن أرجو أنني وفقت في الكشف عن شخصية جديدة في تاريخ النقد العربي، وأرجو زملائي كتاب (الرسالة) أن يعملوا على جمع شوارد هذا الرجل، وأرجو أن تتولى (الرسالة) نشر ما يأتيها عنه وما تقع عليه. فربما استطعنا أن نؤلف من هذه الشوارد حياة الرجل وحياة الناقد، لأن لنقده تأثيراً أكبر مما ذكرنا في توجيه أدب عصره. وإنما أدبنا لا يزال فقيراً الى رجلين: المؤرخ والأديب. فليعمل المؤرخ عمله يعمل الأديب عمله أيضاً

(دير الزور) خليل هنداوي

استدرك الفرصة الأدبية شهراً آخر

كتب بقلم محمد عبد الله عنان

مصر الاسلامية

ثمنه ١٥ قرشاً ويباع بخصم ٣٣٪ أي بـ ١٠ قروش

قصص اجتماعية

ثمنه ١٠ قروش ويباع بخصم ٤٠٪ أي بـ ٦ قروش

ابن خلدون حياته وتراثه

ثمنه ٨ قروش (مجلداً بالكرتون)

وثمن الثلاثة كتب معاً ٢٠ قرشاً أي بخصم ٤٠ ٪

عدا البريد، وهو قرشان عن كل كتاب داخل القطر وأربعة خارج القطر والثلاثة كتب ٥ قروش في الداخل وعشرة في الخارج

وتطلب من مجلة (الرسالة) ولجنة التأليف والترجمة بشارع الكردناسي ومكتبة النهضة بشارع الدابغ وباقي المكاتب الشهيرة

وطلبات الجملة من المؤلف تليفون ٤٤٦٨٣